سارة 220000
www.rewity.com

المغامرون الأذكياء

العِصابةُ الخَفِيَّة

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

جميع الحقوق محفوظة لـ "دار النفائس"

الطبعة الثانية
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

© دار النفائس
بيروت: ص ب ٦٣٤٧ - هاتف ٢٥٨٧٣٨ - ٣٠١٤٤٧ - برقيا: دانفايسكو

سرقات عجيبة

كم كان المفتش « جميل » غاضباً ، مُحْنَقاً ، في ذلك النهار . فلقد توالت على مديرية الأمن العام بلاغات متعددة عن سرقات متوالية بصورة غريبة .

والعجيب في تلك البلاغات إشارتها إلى أن السرقات كلها لا تقع إلا في حيٍّ واحد ، هو حيّ « الزمالك » في القاهرة . وأعجب من هذا كله أن معظم السرقات كانت من الطوابق العليا في المباني الفخمة .

وكان رجال الشرطة جِدّ متحيّرين ، فلقد أجمعت تقاريرهم على أمر غريب حيّرهم ، وأدهش جميع رجال الأمن .. ففي كل السرقات هذه ، لم يُكْسَرْ بابٌ ، أو تُخْلَعْ نافذة ، أو يُستَعْمَلْ مفتاحٌ مزوّر في شقة . وأغرب من هذا أن بعض المجنيّ عليهم صرّحوا لرجال الأمن بأنهم ناموا في ساعة متأخرة من الليل ، بعد أن تركوا مصوغاتهم وأموالهم في حجرات

www.alkottob.com

نومهم ، وتفقّدوها في الصباح فلم يجدوها كأنها اختفت بسحر ساحر ...

اجتمع المفتش « جميل » بكل أعوانه ومساعديه اجتماعاً ساده جوٌ من التوتر والغضب والانفعال الشديد.. وما إن اكتمل عقد المجتمعين – وقد كانوا نخبة من أكفأ ضباط المباحث المعروفين – حتى قال المفتش « جميل » :

– تعلمون جيداً لماذا اجتمعنا اليوم، ونودُّ أن نناقش مجتمعين هذه الظاهرة بهدوء وتمعُّن وعمق تفكير .

ثم سكت برهة ، وراح يطالع أوراقاً على مكتبه ، ثم رفع رأسه وقال :

– البلاغات – كما تعلمون – تشير كلها إلى سرقات تمّت بصورة واحدة ، ومعنى ذلك أن مرتكبها ، أو مرتكبيها ، فرد ، أو عصابة واحدة، لم تتغير.. لهذا فإني أودُّ من كل واحد منكم أن يشرح لنا ما لاحظه بعد المعاينة ، أو ما خطرَ في باله بعد دراسة هذه الوقائع ، حتى نصل إلى قرار شامل لكل ما تشابَهَ من الأحداث ، ومن ثَمّ نرسم خطة مُحْكَمَةً على ضوء هذا القرار .

قال الرائد صلاح :

– سيادةَ المفتش ! وقعتْ في دائرتي ثلاث حوادث، وإليكم

بياناً موجزاً عن كلٍّ منها ، وما لاحظت فيها .

وفتح الرائد صلاح مِلَفّاً أمامه ، وشرع يقرأ :

– الحادث الأول : كان بتاريخ ١٧ / ٥ / ١٩٧٥ ، أبلغنا المهندس «مأمون راضي» القاطن بالمبنى رقم ٩ أ – شارع الجبلاية، بالدور الحادي عشر بالزمالك ، أنه في مساء يوم ١٦ / ٥ / ١٩٧٥ عاد مع زوجته من دار السينما ، حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وكانت زوجته آنذاك تتحلّى بجزء من مجوهراتها ، وقد خلعتها ووضعتها على منضدة الزينة في غرفة النوم ، كما وضع هو حافظة نقوده ، وفيها مبلغ ستمائة جنيه مصري ، وبعض الأوراق إلى جانب الحليّ ، وكذلك فعل بساعته الأوميغا ، وخاتمه . ثم استلقيا على فراشهما ، واستسلما للنوم... وفي الصباح، اكتشفا اختفاء كل شيء على منضدة الزينة.

ولدى استجوابهما ، قالا : إن باب شقتهما كان مغلقاً من الداخل بالرتاج ، وكذلك باب سلّم الحريق . واعترف الزوج أنه يحتفظ بمبلغ كبير من المال ، وبمجوهرات زوجته الغالية داخل خزّانة ملابسه ، وقد ظلّت جميعها سالمة ، لم تُمَسّ ، ولم تُخدَش الخزانة ، ولم تَجْرِ أية محاولة من الجناة لسرقتها .

وأردف الرائد صلاح يقول : لقد ذهبت بنفسي إلى المنزل ، لأقف على دليل أهتدي به في تحقيقاتي، لكني لم أعثر على أي أثر

يفيد التحقيق... وكذلك خبير البصمات لم يلتقط بصمة غريبة، وكل ما ظهر من بصمات كان للزوجين ، وبعض الأقارب الذين لا يرقى إليهم الشك ، وقد كانوا وقت حدوث الجريمة في أماكن ثابتة ، وأيّدوا ذلك بدلائل مقنعة .

وتابع الرائد صلاح تقريره فقال: شقة المهندس – كما قلت – تقع في الدور الحادي عشر ، وليلة الجريمة كانت حارّة ، ورغم ذلك فقد احتاط الزوجان .. أقفلا باب الدار من الداخل ، وأقفلا جميع النوافذ ، ما عدا نافذة الحمام الصغيرة ، فقد تركاها مفتوحة كي يتجدد هواء الحمام .

وسكت الرائد صلاح برهة ، استراح خلالها .. وإذا المفتش جميل يبادره بالسؤال :

– هل أفهم من كلامك أن السارق لم يأتِ من الخارج ، أو أنه من المستحيل عليه أن يدخل الشقة بعد رجوع الزوجين ؟

أجاب الرائد صلاح بثقة :

– هذا أمر لا يحتمل أي شك !

سأله المفتش جميل بهدوء :

– إذن ! ما تصوُّرُكَ للحادث ؟

أجابه الرائد صلاح :

– ذهب شكّي إلى أن أحد الزوجين هو السارق .. لكن

هذا الاحتمال استبعدتُه لأسباب عدة : فقد بدا لي أنهما من الأثرياء ، وكلاهما يملك مفتاحاً لخزانة الملابس ، وأنهما موفّقان في حياتهما ، سعيدان في نفسيهما ، محبوبان من جميع الأهل والأصحاب ...

سأله المفتش جميل :

– هل رُزِقا أولاداً ؟ وما سِنُّهم ؟

أجاب الرائد صلاح :

– رُزِقا بولد ، هو اليوم في العشرين من عمره ، ويدرس في فرنسا ، كما رُزِقا بفتاة تكبر أخاها بعام واحد ، وقد تمّ زواجها منذ شهور. ولدى الأسرة امرأة خادم ، وطاهٍ ، يأتيان في الصباح ، ويغادران في المساء الساعة السادسة .

كتب المفتش جميل بضع كلمات على ورقة أمامه ، وقال :

– استمرّ يا صلاح !

قال الرائد صلاح :

– الحادث الثاني : وقع يوم ١٩ / ٥ / ١٩٧٥ في البناية – رقم ٧ أ – من الشارع نفسه ، وكانت السرقة من الشقة رقم ٧٦ ، بالدور الرابع عشر ، وتقطنها أسرة الطبيب المعروف الدكتور عبدالله محمد ، الأخصائي بالجراحة العامة ، وهو يملك البناية كلها .

www.alkottob.com

قال الطبيب : إنه عـاد من المستشفى الذي يملكه في ساعة متأخرة من الليل، وكانت زوجته قد أوَت إلى فراشها مبكرة، فخلع ملابسه، وأفرغ ما في جيوبه على طاولة الزينة «التواليت»، وكان مبلغ (١٥٠ جنيهاً) ، وخلع ساعته ذات السوار الذهبي، وخاتمه ، ونظارته الطبية .

وقالت الزوجة : إنها – قبل أن تنام – نضت عنها ساعتها المتوسطة الثمن ، وأحد خواتمها ، وعِقداً عادياً ، ووضعتها على طاولة الزينة . وفي الصباح ، استيقظا فلم يجدا شيئاً مما تركا على طاولة الزينـة ، لكن الذي أثار دهشة الدكتور أمران : الأول هو أن حقيبته – وقد كان فيها سبعة آلاف جنيه – وضعها على الطاولة ، ولم يمسّها السارق ، أو يأخذ منها شيئاً ، مع أن حَملها لا يكلف جهداً ، ولم تكن في مكان خفيّ فلا تقع عين السارق عليها . والأمر الثاني المحيّر ، أن اللص الذي ترك الحقيبة وفيها ذلك المبلغ الضخم ، لم يتورّع عن سرقة النظارة الطبية ، وهي رخيصة الثمن ، ثم هي لا تنفع مَن يأخذها بقليل أو كثير .

سأله المفتش جميل سؤالاً جعل جميع المجتمعين يتطلعون إليه :

– هل وصف لك الدكتور النظارة المفقودة ؟

بُهت الرائد صلاح ، ونظر إلى أوراقـه مرة أخرى .. وقال ببطء :

– إن آخر ما فكّر به من أمر هـذه المسروقات استقصاءُ أوصاف النظارة ، ومع ذلك قرأ من أوراقه أوصاف النظارة ، فقـال :

– نظارة طبية ، ذات أسلاك ذهبية .

عاد المفتش جميل فكتب بضع كلمات ، وقال :

– استمرّ يا صلاح ، وماذا وجدت بعد المشاهدة ؟

أجابه الرائد صلاح بحيرة :

– لا شيء يا سيدي المفتش .. البابُ مُرتَجٌ من الداخل ، النوافذ كلهـا مغلقة ، عدا تلك النافذة الصغيرة للحمام ، وهي لا تتسع لمرور طفل منها .

سأله المفتش :

– هل يقيم في الشقة أحد سوى الدكتور وزوجته ؟

أجابه الرائد :

– نعم ! يقيم معهما ولدهما الوحيـد ، وهو طبيب تخرّج حديثاً ، وكانت هدية أبيه إليه يوم تخرُّجه نقلُ ملكية البناية كلها ، التي يقيمان في شقة منها ، إلى اسمه .

وعاد المفتش يخطُّ بضع كلمات على أوراقه ، ثم قال :

– أعتقد أن الحادث الثالث لم يخرج عن هذين الوصفين ، أم أن فيه جديداً ؟؟

أجاب الرائد صلاح :

– الواقع يا سيدي أن هذه السرقة هي أعجب ما سمعت .

ظلّ المفتش جميـل صامتاً ، منتظراً إيضاحاً وشرحاً .. وانطلق الرائد يقول :

– إنـه مسكن في الدور السادس عشر من مبنى « البرج الفضيّ » ، والشقة لبـائع المجوهرات المشهور « زكي متّى » .. إنه على الرغم من وجود كميـة من المجوهرات هائلة في المنزل ليلة السرقة ، فإن المسروق يكاد لا يُصدَّق .. لقـد سرق السارق بضع أدوات المائدة الفضية كانت في غرفة الطعام .

سأله المفتش سؤالاً لفت نظر الموجودين جميعاً :

– هل كان باب حجرة الطعام مفتوحاً ؟

أجابه الرائد :

– نعم يا سيدي !

عاد المفتش يقول :

– وكان باب حجرة نومه مغلقاً ، أليس كذلك ؟

أجاب الرائد بإعجاب :

– فعلاً يا سيدي !

واستمرّ المفتش جميل يقول :

– على الرغم من عـدم تعرُّضك لهذه النقطة ، في مَحْضَر

« المعاينة »، وفي محضر الاستجواب، فإني أجزم بأن باب حجرة النوم في الحادث الأول والثاني لم يكن مغلقاً .

وعاد الرائد إلى أوراقه ، وقـد ظهرت على وجهه أمارات الدهشة ، وقال :

– هذا صحيح يا سيدي !

والتفت المفتش جميل إلى ضابط شاب ، تـلوح على مُحَيّاه علائم النبوغ ، فوجّه إليه حديثه قائلاً :

– رمزي ! إن منطقتك تساوَت فيها الحوادث مع منطقة صلاح .. وأرجو أن توجز لنا الأحداث ، وما استنبطته منها .

أجابه رمزي قائلاً :

– الحوادث الثلاث وقعت في مبنى واحد، وفي ليلة واحدة.. ولو نظرنا إليها من زاوية معينة ، فإن ترتيب حدوثها ، والإبلاغ عنها كان عكسياً .

قال المفتش :

أرجو أن توضح كلامك، وتشرح لنا معنى عبارتك الأخيرة.

أجابه الضابط الذكي :

– أول الحوادث حدث في الطابق التاسع، وثانيها حدث في الطابق السابع ، وثالثها في السادس.. فبدلاً من الصعود ابتدأت السرقة من الطابق الأعلى ، ثم تدرّجت إلى أدنى ، فأدنى .

www.alkottob.com

وسجّل المفتش جميل بضع كلمات ، وقال :

– ملاحظتك لها دلالتها ، دون شك .. هل خرجتَ منها باستنتاج معيّن ؟

ارتبك الضابط الصغير لحظات ، ثم ما لبث أن قال :

– في الحقيقة لمعت في رأسي فكرة ، وإن كانت مستبعَدة ، لكنها محتمَلة على أية حال .

ابتسم المفتش جميل وقال :

– إن شئتَ عدم الجهر بفكرتك ، فلك ذلك ، ولكلّ منكم الحرية التامة بالاحتفاظ بخطتّه واستنتاجاته .. ولكنني أظن أن الفكرة التي خطرت في بالك واضحة .

ونظر الجميع إلى المفتش كما ينظر التلميذ إلى أستاذه ، وأردف جميل يقول :

– قبل أن أُفصح عما أعني .. ألفتُ نظركم إلى أن ما سُرق في كلا المنطقتين لا يتعدّى حافظة نقود ، أو مصوغات ، أو فضيّات ، أو شيئاً برّاقاً ، سواء أكان ذهباً أم نحاساً .. مع وجود أشياء قيّمة ، تركها السارق ، أو السارقون ، دون أن تلقى منه أدنى اهتمام .

قال رمزي :

– هذا ما حدث فعلاً ، يا سيدي !

وعاد المفتش إلى القول :

– وكذلك كانت المسروقات في الحوادث كلها من حجرات غير مغلقة .

وهزّ رمزي رأسه ، وصاح :

– فعلاً يا سيدي !

استمرّ المفتش في حديثه :

– ودائماً ، كانت الأبواب موصدة بإحكام ، وكان المنفذ الوحيد هو تلك النافذة الصغيرة للحمامات ، والتي لا تكفي لمرور طفل منها ، أليس كذلك ؟

أجاب رمزي :

– هذا ما ثبت من أقوال المجنيّ عليهم ، ومن مشاهداتنا .

وهنا فجّر المفتش جميل قنبلته فقال :

– ولهذا ذهب ظنّك يا رمزي إلى أن مرتكب هذه الحوادث قَزَم ، صغير الحجم .. أليس كذلك يا رمزي ؟

احمرّ وجه رمزي خجلاً ، وأجاب :

– هذا ما دار في خَلَدي ، وفكّرتُ أن من المستحيل على طفل الدخول من كوّة .. ولذلك رجّحت أن السارق قَزَمٌ ونحيل ، وإلاّ يكن ذلك فلن يستطيع الولوج أبداً ..

ولمعت عينا المفتش ببريق خاطف ، وهزّ رأسه ، ثم قال :

– لا يا رمزي ! استنتاجك محتمل ، ولكنه غير منطقي ، وغير مقبول .. أتدري لماذا ؟..

وساد الحضور صمت ، وأرهفوا السمع ، وحملقوا في فم المفتش ، ينتظرون الإيضاح .. وانطلق يقول :

– أولاً : كيف يتسنى لهذا القَزَم – إن وُجِد – الصعودُ على أنابيب المياه « المواسير » إلى هذه الطبقات العليا ؟

– ثانياً : لو كان السارق قزَماً ، فلن يَغفِل أبداً عما خلّفه صاحب الدار من ثرَوات طائلة ، وقد كانت على مرأىً من السارق ومتناوَل يده في معظم السرقات .

وسكت المفتش لحظة ، ثم تابع قوله :

– ستكون خطتّنا جديدة في نوعها .. وقبل أن نخوض في تفصيلاتها .. أسألكم : هل لدى أحدكم ما يزيد عما سمعناه من صلاح ورمزي ؟

أجاب ضابط شاب :

– نعم يا سيدي المفتش ! أياً ما كان السارق ، قزَماً أو رجلاً ، فقد ثبتَ لنا في كل الحوادث أن الطريق الوحيد الذي دخل منه كان من تلك الكوّة الصغيرة للحمام ، ومع ذلك فلم نعثر على بصمة واحدة ، وفي حال وجودها فإنها آثار قفازات صغيرة .. أما بصمات اليد فلا وجود لها .

لم يُجِب المفتش عن هذه الملاحظة ، وأطرق برهة ينظر في الورقة الصغيرة أمامه .. ثم رفع رأسه .. وسأل :

– وما معنى ذلك ؟

أجابه أحد الضباط :

– معناه حِرصُ الجناة الزائد ، وعلمهم بكل حذافير الإجراءات ، وإدراكهم أثر البصمة في كشف هُويّة الجاني .

وابتسم المفتش ابتسامة خفيفة ، وقال :

– أودُّ أن أُشير بكلمة صغيرة إلى حقيقة لا جدال فيها .. وهي أنكم لو عثرتم في تحقيقاتكم في بيوت المجنيّ عليهم على بصمات للجناة ، فلن تفيدكم تلك البصمات في كثير أو قليل ، لأنه ليس للجاني ، أو الجناة ، بصمة سابقة في سجلاتنا .. إنه لم يعرف بَعْدُ طريقَه إلى عالم البصمة .. إنه ليس موظفاً ، أو عاملاً ، أو طالب مدرسة ، أو أي نوع من أنواع الناس الذين تؤخذ بصماتهم .. دعوا هذا التفكير بالبصمات جانباً ، وما أطلبه منكم الآن إبلاغي فوراً عن أيّ حادث يقع ، إني أودُّ أن أكون أول داخل مكان الحادث .

www.alkottob.com

شرطة صفار

« في منزل المفتش جميل » كانت مباراة كرة الطاولة حامية الوطيس بين « ليلى » و « وليد » ، وانتهت – كالعادة – بهزيمة وليد هزيمة نكراء .

وجلس « سرور » في منتصف الطاولة ، يرقب المباراة ، ويشجّع كلا الطرفين بروح رياضية عالية . وحين انتهت المباراة بفوز « ليلى » قفز ليحتضنها ويقبلها ، كما نظر شزراً إلى وليد ، وراح يسخر منه .

كذلك كان « فصيح » يرقب المباراة ، ويردد طوال الوقت : « ليلى هائلة ، ليلى هائلة ... » .

أما « خالد » و « عصام » فقد استغرقا ضحكاً لهذه المباراة والمتفرجين، والمشجعين.. وسأل عصام الببغاء «فصيح» بدعابة : « وأنا ، ألست هائلا يا فصيح » ؟

أجاب فصيح :

– ليلى هائلة ، ليلى هائلة ..

وقال خالد :

– لقد استحق الفريق المنتصر هـذا الهتاف كله ، وفصيح شاهد على ذلك .

وأشار وليد المهزوم في المباراة إلى « سرور » وقال :

– وهذا القرد الخبيث، أيظل هكذا فاغراً لي فمه كالبالوعة؟

وزمّ سرور شفتيه بسرعة ، وحرك قبعته التي كانت على رأسه ، ثم أمالها نحو جبهته ، ونظر إلى وليد نظرة غاضبة .

قال عصام :

– يبدو لمن يرى سرور ووليد أن الأمر سيتطور بينهما إلى معركة .

وشمر وليد عن ساعده أمام سرور كمن يستعد لعراك ، فقفز سرور من مكانه ، وسار بتؤدة نحو الباب ، ثم استدار نحو وليد وحرك يديه كمن يشمر عن ساعديه ، ورمى خصمه بنظرة شزراء ، مفعمة بالتحدي .. وتراجع خطوة ، فخطوة أخرى حتى صارت إحدى قدميه خارج الحجرة .. وضمّ قبضتيه إلى بعضهما ، كما يفعل الملاكم ، واتخذ وضعية الاستعداد ..

لم يتحرك وليد من مكانه ، كأنه لا يأبه لخصمه .. وحينئذٍ أخذ سرور يقلد الملاكمين ، فيلكم الهواء بسرعة ، ويقفز راقصاً

كأنه يقلد بطل العالم الكبير «محمد علي» ، ويلف ويدور، ووليد في مكانه يتفرج عليه ، والبسمة تعلو شفتيه ، ثم تحولت البسمة إلى ضحكة رنانة ، وقال :

– قاتلك الله ! أقرد أنت أم بهلوان ؟

وبدا الحال، كأن « سرور » انتصر على خصمه وليد، لذلك كفّ عن اللكم في الهواء ، وأعاد أكمام قميصه إلى سابق عهدها بهدوء .

قالت ليلى :

– عظيم يا سرور ، هائل سرور .

رفع سرور كلتا يديه ، واضعاً راحة على راحة ، وأخذ يهزهما ، فعلّ المنتصر العظيم ، المنتشي بالفوز المبين .

وحرقت الغيرة قلب فصيح لانتصار سرور، وتحية ليلى له، فقال في حنق :

– هائل وليد .. هائل وليد .

قال فصيح هـذا ، وطار من الغرفة ، وحطّ جانب « ماما سعاد » بالطابق العلوي ، وراح يكرر على مسامعها :

– ماما سعاد .. حلوة .. ماما سعاد .. هائلة ..

تركت « سعاد » جانباً الكتاب الذي كانت تقرأ فيه ، ونظرت إليه باستغراب . وقالت :

– ماذا فعلتَ يا تُرى ؟ أهو سرور الذي أغاظك ؟

أجابها بصوت خافت ، وعيناه ترقبان الباب :

– سرور حمار .. سرور حمار ..

ضحكت «ماما سعاد»، وبخاصة حين رأت سرور يدخل من الباب ، مكشراً عن أسنانه ..

صاح فصيح كالفزع :

– سرور .. سرور ..

ظلت «ماما سعاد» صامتة ، وظل فصيح يردد بصوت يزداد خفوتاً :

– سرور .. سرور ..

وحين وجد فصيح أن «ماما سعاد» لم تحرك ساكناً، ولم تسمع لحمايته من خصمه سرور ، وأن هـذا ازداد قرباً منه إلى درجة تنبىء بخطورة الموقف.. طار فجأة، وحطّ فوق خشبة الستارة ورفع صوته صائحاً :

– سرور حمار .. سرور حمار ..

قالت ماما سعاد وهي تربّتُ على رأس سرور ، وتطيّب خاطره ، وتهدىء عصبيته :

– فصيح حمار .. سرور هائل .

وانفرجت أسارير سرور ، ونسي غضبه ، وأقعى إلى جوار

www.alkottob.com

« ماما سعاد » ، واضعاً ساقاً فوق ساق بعظمة وكبرياء ، ورمى فصيحاً من مكانه بنظرة احتقار .. وزاد الطين بلّة ، أن « ماما سعاد » أتحفت «سرور» بقطعة كبيرة من الحلوى ، وهي تقول:

– هذا لأنك مؤدب ، أمـــا فصيح فقليل التهذيب ، ولن أطعمه الحلوى .

وتكهرب الجوّ فجـــأة ، وارتفع صوت فصيح مستغرباً متسائلاً :

– فصيح قليل الأدب ؟ فصيح حمار ؟ سرور مؤدب؟ فصيح قليل الأدب ؟

وأخذ يعيد ويكرر ، ويملأ الغرفة من هذه التساؤلات ... وماما سعاد لا تعيره التفاتاً ، ثم تغيرت لهجته ، وراح يردد :

– سرور حبيبي .. سرور هائل ..

لكن سرور الذي طالما غفر له ، وصفح عنه في الماضي .. لم يعد اليوم يصدقه ، ولم يعد يقبل توبته ، ولا مديحه وأناشيده .. وظل يلتهم قطعة حلواه بنهم وتلذذ ، ويشير بأصبعه إلى فصيح، ويطلق السخريات منه ..

نفد صبر فصيح ، وأخـــذ يتململ من مكانه ، وهو يقول بصوت منخفض :

– ماما سعاد .. حـــلوة .. ماما سعاد .. هائلة .. فصيح

قليل الأدب ..

نهضت « ماما سعاد » من مكانها ، واتجهت ناحيته قائلة :

– لماذا لا تكون مؤدباً دائماً ؟ ماذا عمل سرور حتى تسبّه؟

أجابها على الفور :

– سرور حبيبي .. سرور هائل ..

ودهشت «ماما سعاد» حين شعرت بيد سرور تسحبها من يدها لتبعدها عن فصيح ، ويمدّ لسانه إشارة إلى احتقاره ..

ولم تتمالك « ماما سعاد » نفسها من الضحك ، وقالت :

– ليجازكم الله .. إن مكانكما في السينما أو في « السيرك ».

ولم يصطلح فصيح إلا بقطعة حلوى من يد « ماما سعاد » ، وراح ينقرها بتلذذ ..

* * *

ودخل المفتش جميل دارتـــه ، وصعد درجات المدخل ، وأمارات المرح ظهرت على محياه حـــين رأى « سرور » مقبلاً تجاهه، رافعاً يده بتحية عسكرية، ثم آخذاً وضع «الاستعداد» لاستقبال سيده الكبير ..

قال المفتش باسماً :

– إنه استقبال رسمي .

وجاء من البعيد صوت فصيح قائلاً :

– سلاماً خُذْ ، سلاماً خُذْ .

ونظر خالد إلى فصيح وقال :

– وبعد ، فأين الباقي ؟

وصرخ فصيح :

– عاش « بابا جميل » ! عاشت « ماما سعاد » .

وقال المفتش جميل وهو يهم بالجلوس :

– شكراً يا سيدي !

والتفت « البابا جميل » إلى ليلى وسألها :

– تُرى لمن كان النصر اليوم ؟

ضحكت ليلى ، وأشارت إلى فصيح الذي انطلق يقول :

– ليلى بطلة .. ليلى هائلة ..

وابتسم المفتش وقال :

– خير الكلام ما قلّ ودلّ .. معنى ذلك أن ليلى انتصرت.

أجابه وليد بطريقته الهازلة، المعتمدة على إضحاك الآخرين، دون أن يظهر على صاحبها تعمُّد الضحك والإضحاك :

– عَمّاه ! هل يرضيك أن أهزمها ، فتجلس حزينةً طوال اليوم ، وقد لا تتناول طعامها ، فتضعف ، ثم تمرض .. لا .. وُجداني لا يطاوعني .. أنا أعقل وأكبر من أن أسبب لها ضعفاً ومرضاً وحزناً دائماً ..

وانفرجت شفتا جميل عن ابتسامة عريضة ، وقالت « الماما سعاد » :

– أقترح أن نسمي هـذه المجموعة كلها فرقة « السيرك » لا فرقة المغامرين الأذكياء .

قال المفتش جميل فجأة ، وبلهجة جادة :

– ليس قبل أن ينفذوا المهمة التي سأعهدها إليهم ..

وندّت عن الجميع صرخات دهشة خافتة . وقال خالد :

– ستكلفنا بمهمة يا بابا ؟ أحقاً يا بابا ؟

أجابه والده المفتش جميل بهدوء :

– نعم يا خالد ! وستعملون معنا بصفة غير رسمية طبعاً ، فإذا مـا نجحتم استطعنا كشف عصابة سارقة حيّرتنا ولا تزال تحيّرنا ..

كانت فرحة الجميع لا توصف .. وقال عصام سائلاً :

– هل نستعدّ يا عماه ؟

التفت إليه وليد وقال :

– يقصد أن نستعد بعد تناول الغداء ، لا قبله ..

ضحك المفتش لهذه المحاورة المرحة ، وقال :

– طبعاً ، ليس الآن .. لسوف نتحدث بعـــد الغداء عن تفصيلات أوسع، ولسوف يعلم كلٌّ منكم العمل المطلوب منه بدقة

www.alkottob.com

ووضوح .

والتفّ الجميع عقداً حول المائدة، وراحوا يتناولون غداءهم ومَنْ لاحظهم عَرَف أنهم يلتهمون الطعام قبل أن يتم مضغه في أفواههم ، وعرف أن بريقاً من الشوق إلى شيء مجهول يبرق في عيونهم ، ويدفعهم إلى إنهاء مهمة تناول الغداء للوصول إلى هذا المجهول المحبوب المنتظر ..

وكان عصام أول من غادر المائدة زاعماً أنه شبع ، مع أنه لم يأكل إلا لقيمات ، كأن الفرحة اغتالت شهيته ، والتفتت إليه « ماما سعاد » تسأله :

ـ ماذا بك يا عصام ؟ أنت لم تأكل كعادتك !

أجابها عصام باسماً :

ـ بلى ! لقد أكلت ، وشبعت ، فالحمدلله على نعمائه .

أما وليد فكان منظره ، وهو منكب على أطباق الطعام ، باعثاً على الابتسام .. كان يبدو كأنه لم يأكل منذ دهر طويل ، وكأنه لن يأكل إلا بعد دهر طويل ، فهو اللحظة عاكفٌ على مسح ما في الأطباق ، يده تسابق فمه ، وفمه يقول له : هل من مزيد ؟؟.

وضحك المفتش ، وهو يرمق وليد بإحدى عينيه ، وسمعه يقول وفمه محشوّ بالطعام :

ـ وأنا قبلت المهمة ، رحمةً بك يا عماه !

وقام الجميع عن المائدة ، بعد أن شبعوا ، وحمدوا الله ، وغسلوا أيديهم ، وأفواههم .. وانتقلوا إلى ردهة المنزل «الصالون» وجلسوا في انتظار حضور المفتش المحبوب ، وقالت ليلى بصوت كأنه الهمس :

ـ تُرَى ، أي مهمة سيكلفنا بها عمنا ؟

أجابها أخوها وليد ، بلهجة تنم عن فرح طاغ :

ـ مهما تكن المهمة ، فلقد يكفي فرقتنا فخراً أن عمنا المفتش اعترف بنا ، ووثق بكفاءاتنا ، وقدّرنا حقّ قدْرنا .

ضحك خالد ، وقال هامساً :

ـ يبدو لي أن أبي يفضل الاستعانة بنا كيلا نلفت النظر ، وكيلا يفطن إلينا أحد ، أو يشكّ بنا شاكّ .

ولم يفهم وليد مغزى كلامه ، فسأله :

ـ ماذا تعني ؟.. أنا لم أفهم ما تقول .

أجابه خالد :

ـ أتظن أيّ مجرم يرانا في طريق ، يشك بنا أو يرتاب ؟

ردّ عليه وليد :

ـ نعم ! يشكّ بنا ويرتاب.. ألم يحدث ذلك في مغامرة «خمسة جنيهات ذهبية » ؟ ألم يتعرفك المجرمون ، ويختطفوا ليلى ؟

وعلى مائدة الطعام كلفهم بالمهمة

أجابه خالد :

ـ إنه كان حادثاً شاذاً ، ولا تقاس الحوادث الباقية عليه .

قال وليد :

ـ عظيم .. لنفرض أنهم عرفونا ، فكيف سنتصرف ؟؟.

أجاب خالد :

ـ وحينئذٍ ! لكل حادث حديث .. ولكن !! يا وليد !! عَمّ نتكلم ؟ وعلى أي أساس نفترض ؟ والمهمة التي سيكلفنا بها بابا جيل لا ندري عنها شيئاً ؟..

وانتهى الجدل بين الفرقاء بدخول المفتش ، وهبوا جميعاً قياماً احتراماً ، وترحيباً .. ثم جلسوا بعد أن جلس .. وران صمت لحظة .. وأصبحوا آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية .. وتثبتت عيونهم على شفتي المفتش .. ينتظرون بفارغ الصبر ما يقول :

ابتدأ المفتش جميل بقوله :

ـ متلهفون أنتم لمعرفة المهمة .. وهي ـ في الحقيقة ـ تستحق كل اهتمام ، وعناية ، وذكاء ..

وراح يعرض عليهم قضية السرقات ، والغموض الذي اكتنفها والاجتهادات التي عرضت فيها ، ورأيه في ألوان التفاسير التي فسرت بها .. والخطة التي يقترحها .. وكانوا ـ عند حسن ظنه ـ فهماً ، واستيعاباً ، وتجاوباً .. ثم ختم حديثه قائلاً :

www.alkottob.com

ـ لا تخشوا أي خطر .. فأنتم تحركتم .. وحيثما توجهتم .. فإن قواتنا ستكون قريبةً منكم ، في أشكال شتى ، وأوضاع مختلفة ، وأزياءَ متفاوتة ، وملابس متباينة .. لا خوف على أحد منكم .. ومع كل هذا فأنصحكم بالحذر ، واليقظة ، والحيطة .. وليوفقكم الله .

سأله خالد :

ـ ومتى نبدأ يا بابا ؟

أجابه المفتش :

ـ صباح غد .. ولسوف ينقسم عملكم إلى قسمين .. قسم تؤدونه في الصباح ... وآخر في المساء .

سأل عصام مستفسراً :

ـ هل يُعقَل ـ يا عماه ! ـ أن يحدث شيء في الصباح ؟

وابتسم المفتش للسؤال الساذج ، وقال :

ـ طبعاً ، غير معقول .. ولكنّ من يسطو على منزل ليلاً ، فإن عليه أن يراقب ما يجري في النهار من تدابير وتحقيقات .. ألستَ معي في هذا الرأي يا عصام ؟

هزّ عصام رأسه اقتناعاً ، وقال :

ـ صحيح ـ يا عماه ـ لقد فهمت .

وبسمة حنان التفت المفتش إلى ولده خالد قائلاً :

ـ عليك أن تعدّ ـ كما قلت ـ الكلب « فينو » للمهمة ، فدوره كبير ، وكذلك القرد « سرور » .

وهزّ خالد رأسه إيماءً إلى طاعته .. وفجأة سمعوا الببغاء فصيح يردد :

ـ فصيح هائل .. فصيح هائل .

ضحك المفتش جميل ، وقال :

ـ يبدو أن «فصيح» لم يسمع ما قلنا، وظن أننا نسيناه، فهو يسألكم .

التفت إليه خالد ، وقال :

ـ فصيح هائل .. فصيح عظيم .

وبدا الانشراح على فصيح.. وخفق بجناحيه رضىً وسروراً.

* * *

مهمة مستحيلة

.. وبزغ ضياء الفجر بعد ليل طويل .. وهبّ الجميع فرحين . وكم كانت فرحتهم طافحة باقتراب الانطلاق إلى المهمة الجديدة التي كلفوا بها تكليفاً شبه رسمي .

وتحلّقوا حول مائدة الإفطار .. وكان منظرهم عَجَباً .

« ليلى » ترتدي ملابس بسيطة ، وضفيرة شعرها تتدلى على صدرها ، وتلوح عليها سيماء الصفاء والسذاجة ، وتشفّ عيناها عن براءة الأطفال ، كأنها طالبة في مدرسة إعدادية .

و« عصام » يلبس قميصاً عليه صُوِّرَتْ جميع أزهار الدنيا ، وبنطالاً أزرق كلون السماء .. تلوح على أمارات المراهق الغِرّ ، الذي لا همّ له ولا شاغل إلا جذب العيون إليه .

و « خالد » يضع على عينيه نظارة سوداء ، وعلى كتفه آلة تصوير ، فعل سائح ، أو هاوٍ تصوير كل غريب وعجيب .

و « وليد » لم يغير شيئاً ، وبقي كما هو ، كأنه ما وعى ما

اتفق عليه بالأمس وما درى . لذلك سحبه خالد نحو خزانة الملابس، وألبسه زيّ الرياضة، ووضع في رجليه الحذاء المطاطي، وعلّمه كيف يمشي هرولة ، ويقطع الشوارع .. شأن الرياضيين الماهرين .

فرح المفتش جميل مما رأى . وأخرج من جيبه ورقة ، وقال:

ـ ستجدون فيها مخططاً دقيقاً لشوارع المنطقة المعينة ، انسخوها ، وليحتفظ كل منكم بنسخة منها . وأما علامة (×) التي تجدونها فهي دلالة على مكان وقوف سياراتنا ورجالنا . أبلغوهم أولاً بأول أي شيء يلفت نظركم ..

سألته « ماما سعاد » عاتبة :

ـ جميل ! متى أصبحت تشجعهم على مثل هذه المخاطر ؟

ابتسم المفتش وقال بمرح :

ـ أي مخاطر تعنين ؟

قالت ، والقلق بعينيها :

ـ أنت لم تشرح لي المطلوب منهم، وكل ما قلت : إنها مهمة تخدم العدالة والقانون والمواطنين ..

وعاد جميل إلى ابتسامته ، وقال :

ـ سأشرح لكِ كل شيء ، وثِقي أن لا خوف عليهم اليوم.

سألته ، والحَيْرة في لهجتها :

www.alkottob.com

– ومتى سيعودون ؟

أجابها « خالد » ، وهو خائف أن تؤثر كلماتها الخائفة في نفس أبيه ، فيلغي مهمتهم :

– سنعود في موعد الغداء ، يا أماه ، أو بعده بقليل .

ردّت أمه بحنق :

– أنا لم أسألك يا خالد .. إنما أسأل والدك .

ضحك خالد وسكت ، فأمه غاضبة .. لكنه أضمر في نفسه مصالحتها ، واسترضاءها قبل أن يخرج ، ليوفقه الله . فهو يعلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات .

ونهض خالد من على المائدة ، والتفت إلى مجموعته قائلاً :

– سأرسم لكم نسخاً من المخطط ريثما تنتهون من إفطاركم .

وكان فصيح مبتهجاً ذلك الصباح لما تلقّنه من قطع السكر التي رماها إليه خالد ، ولم يُبالِ بإهمال سرور له ، وعدم تحيته ، وكذلك عدم تحية ماما سعاد .

و « سرور » كان يرتدي « بذلة » زرقاء قاتمة وعليها صور ورد أحمر ، وعلى رأسه قبعة لونها لون « بذلته » ، وفي رجليه حذاء أسود جديد .. إنه اليوم في غاية الأناقة .. والغرابة .

وأحاط الجمع بالمفتش إحاطة السوار بالمعصم ، بينما هو يرشف قهوته ، وعرض كلٌ منهم عليه مخططه الذي تسلّمه من خالد ،

فهزّ رأسه موافقاً ، ثم قال :

– « سرور » سيكون بصحبة خالد ، لأنه الوحيد الذي يمكنه التفاهم معه ، وموضعه في المقعد الجانبي من الدراجة النارية « الفيسبا » .

– « فينو » يكون بصحبة ليلى وعصام .

والتفت جميل إلى وليد وقال :

– أما وليد فمحظور عليه ركوب الدراجة النارية ، لأن رياضياً مثله ، وبحجمه ، وبملابسه هذه .. أولى به الهرولة والسير على قدميه .. ومع ذلك ، فلسوف أنقله بسيارتي إلى مكان قريب من ساحة العمل .

وانطلقت الفرقة نحو غايتها .. وتحركت المجموعة الأولى ثم تبعتها بعد دقائق المجموعة الثانية ، وكان خالد من هذه المجموعة ، وما إن وضع رجله خارج المنزل حتى شعر بشيء يحطّ على كتفه بهدوء ، وكان فصيح .. الذي قال له بعفوية :

– فصيح يا خالد .. فصيح هائل .

ضحك خالد ، وانطلق بدراجته النارية .. على حين كان والداه لا يرفعان أعينهما عنه ، وهما يبتسمان .

وجلس المفتش جميل إلى زوجته يشرح لها دقائق مهمة الأولاد .. حتى اطمأنّت وقرّت عينها .

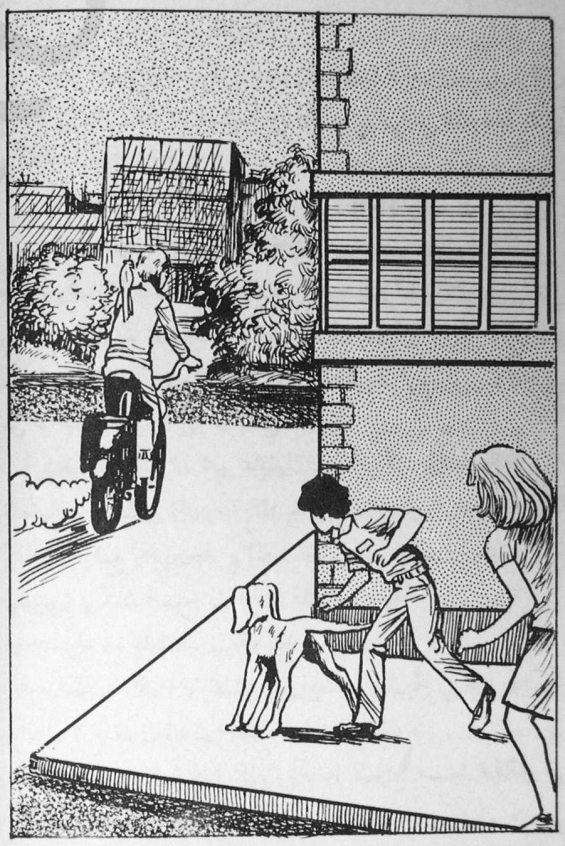

وانطلقت الفرقة نحو غايتها

أما وليد فكان واقفاً ينتظر عمه لينهي حديثه مع زوجته ، وينقله إلى المكان الموعود .. والتفت المفتش وتوجّه إليه بالخطاب :

– وليد ! كن حذراً جداً ، إياك أن تمرّ في شارع واحد أكثر من مرة ، وإذا اضطررت فليكن الفاصل الزمني ساعة على الأقل كيلا تلفت الأنظار إليك .. وإذا رأيت شجاراً فإياك إياك من التدخل .. ونفّذ ما أوصيتك به يوم أمس .

عاد وجه ماما سعاد إلى اكفهراره ، وسألت بحيرة :

– هل سيكون شجارٌ يا جميل ؟

وابتسم المفتش وقال :

– قد يحدث شجار صوري مفتعَل ..

وازدادت حيرة الزوجة ، وبدا عليها الخوف ، وسألت :

– هل يمكنك توضيح ما تقول ؟

أجابها ببساطة :

– إن شئت تفصيلاً أكبر ، فلا مانع عندي أن تشتركي في المهمة ذاتها .

قالت ، والقلق يملؤها :

– جميل ! أنا لا أمزح .. ولقد امتلأت خوفاً على الأولاد .

قال جميل ، وهو يوجه كلامه إلى وليد :

– هاكَ مفتاح السيارة ، اسبقني ، وسألحق بك .

www.alkottob.com

ونظر جميل إلى ساعته ، فوجد في الوقت شيئاً من متّسَع ، يستطيع أن يستغله في رشف فنجان جديد من القهوة ، فقال :

– هل تتكرّمين علينا بفنجان قهوة ، وأعِدُكِ أن أفصّل لكِ الموضوع أكثر ، وأدخل الطمأنينة إلى جوارحك ؟

قالت ماما سعاد :

– سمعاً وطاعة .

وأسرعت إلى المطبخ لتحضر له ما طلب.. واستغلّ الفرصة وأخذ الهاتف ، واتصل بفؤاد .. وقال :

– فؤاد ! هل وزعت السيارات ؟

وسمع فؤاد يقول :

– لقد تمّ كلُّ ما أمرتَ به يا سيدي ، وزعتُ خمسَ عشرة سيارة وجعلتها في الأماكن المخصصة لها، وكلها مجهزة باللاسلكي، وفي كل سيارة ثلاثة من رجالنا .

أجابه المفتش جميل :

– عظيم ! بقي أن نحدّد مركز غرفة إدارة العمليات .. لتكن في « نادي اليخوت البحري » .. فهو قريب من المنطقة أولاً، ولن يعرفنا فيه أحد ثانياً ، لأني لم أزُرْهُ إلا مرة واحدة خلال سنوات عدة .

قال فؤاد :

– سأكون في انتظار سيادتك هناك .

قال جميل :

– فؤاد ! سأترك سيارتي الرسمية أمام مبنى مديرية الأمن ، وسأحضر إلى غرفة العمليات في سيارة أجرة . وقد نحتاج فجأة إلى سيارة ، فأحضرْ لنا واحدة قوية ، وتولَّ أنت قيادتها .

سأل فؤاد :

– هل من تعليمات أخرى يا سيدي ؟

أجاب المفتش جميل :

– لا يا فؤاد ! وسأكون في النادي خلال نصف ساعة .. إلى اللقاء .

وضع سماعة الهاتف ، ومدّ يده إلى فنجان القهوة ، ورسم على شفتيه ابتسامة ، وقال :

– والآن ، إليكِ التفصيلات .

وراح يشرح لها بإسهاب ، ويوضح لها سلسلة السرقات التي توالت في هذه المنطقة من الزمالك ، وكيف وقف رجال الأمن عاجزين أمام دهاء هذه العصابة وحيلتهم، والطريقة التي يصلون بها إلى هذه المساكن ، خاصة وأنها جميعاً على ارتفاع شاهق يصعب على أي لص الصعود إليها بوساطة أنابيب المياه «المواسير».

سألته وهي مستغربة :

– وما دَخْلُ الأولاد ؟ ولِمَ استعنتَ بهم؟ أليس في رجالك الكفاية والأكفاء ؟

وعادت الابتسامة إلى ثغره ، وهو يقول :

– بلى ! في رجالي أكفاء وكفاية ، وإلا فما معنى وجودنا في الشرطة إذا كنا سنعتمد على الأولاد في مهماتنا ؟..

وبدَتْ على وجه الزوجة سيماءُ الاستغراب ، وقالت :

– إذن ! ما مهمة الأولاد ؟

أجابها بصوت جاد ، ونبرة جازمة ، وقد غاضت البسمة :

– لقد أثارت هذه الحوادث شكاً في أعماقي .. وتراءى لي اجتهاد غريب .. وخشيت أن أشرحه لرؤسائي فيسيئوا بي الظنون ، ويرموني بالعته أو الجنون .. وقررت أن أصل إلى يقين قبل أن أنبس ببنت شفة .. واستعنتُ بالأولاد لعلّي بهم أصل إلى الحقيقة .. ورسمت لهم خطة .. وها أنا ذا كما ترين أطلقتهم ليساعدوني .. وبهم .. قد أتمكن من بلوغ الحق .. فإما أن أكون على خطأ فيما اجتهدت، وإما أن أكون قد سرت في دروب الاجتهاد الصحيح ..

يا سعاد ! كم أتمنى أن يحالفني التوفيق ، وكم أشتهي أن تكون ظنوني في موضعها ، وألاّ تخيب .. إني لو نجحت وتحققت صحة ما رأيت،فلسوف أسجل في تاريخ الشرطة أروع

انتصار .. ادعي لي الله بالتوفيق .

أطرقت سعاد لحظة ، وسألته :

– وهل شرحتَ هذه الموضوعات كلها للأولاد ؟

أجابها بهدوء :

– طبعاً ، وإلا فما فائدة إرسالهم ؟

قالت سعاد مداعبة :

– وطبعاً ، أنا زوجتك آخر مَن عَلِم !

ضحك جميل ، وقال :

– أتعرفين يا سعاد أن ولدنا « خالد » تسري في عروقه دماء الشرطة؟ لقد نقلناها إلى دمائه يوم ولدناه.. أنا بعملي ووظيفتي، وأنت بحبّك للشرطة ولي .

أجابته باسمة :

– لك أن تقول عني هذا ، فأنا من المعجبات بإنجازات الشرطة العظيمة لبلادي ، ومعجبة أكثر بزوجي الذي أحببته ، ولا أزال ، وسأبقى .

وقبّلها من جبينها ، ونهض وهو يقول :

– آخر ما أقول لك هذا الصباح .. نحن نبحث عن قرد يا سعاد !

وتركها ذاهلة ، وهبط درجات سُلّم منزله بسرعة ، واتجه

www.alkottob.com

نحو سيارته ، ولم ينسَ أن يلوح لها بيده تلويحة وداع .

دخلت سعاد غرفتها ، وجلست مستغرقة في التفكير .. لقد شعرت أن آخر كلمة قالها جميل كأنها رَمَتها في متاهة مظلمة الأرجاء .. وفجأة لمع خاطرٌ في رأسها وصاحت بفرح :

ـ لله ما أروعك يا جميل ! يا لك من رجل عظيم .

بلغت الدراجة النارية الأولى بأصحابها المكان المحدد في الخطة وسرعان ما ترجل عنها عصام ، ليساعد شقيقته ليلى على الهبوط من المقعد المجاور ، وقد سبقهما أرضاً « فينو » بقفزة مرحة .

وافتر ثغر ليلى عن ابتسامة بريئة حين قالت :

ـ يا له من مكان بديع !

ردّ عصام :

ـ سنترك « فينو » يحرس الدراجة النارية ، ونتجول معاً .

قالت ليلى بدلال :

ـ وهل يرضى « فينو » بهذه المهمة البسيطة ؟

أجابها عصام بثقة :

ـ لست أدري .. ولكنه يخيل إليّ أنه سيغضب لو تركناه وحده ، وقد يكون من الأنسب أن نترك الدراجة لحارس السيارات ، ونصحب الصديق الأمين . ومع ذلك فسأشاوره ..

والتفت نحو فينو :

ـ فينو ! هل تنتظرنا هنا ريثما نعود ؟

قصّر فينو قليلاً .. ونمّت عنه أمارات استياء .. وحرّك ذنبه بضع مرات ، وتراجع خطوات ، وأدار إليهما ظهره ، وراح في نباح غاضب ..

وصاحت ليلى والبسمة لا تفارقها :

ـ فهمت .. فهمت .. يا فينو ! إنك ترفض البقاء وحدك .

وكان ما لا بدّ منه .. تركا الدراجة للحارس ، وعقدا يداً بيد ، وراحا يسيران الهوينا ، وفينو يسبقهما تارة ، ويحاذيهما أخرى ، ويتخلف عنهما تارة .

من ينظر إلى الشابين الصغيرين يعتقد أنهما محبان يذوبان صفاء ويسيلان هناء ، وأنهما أفلتا من قيود الزمن ، وحلّقا في آفاق البراءة والطهر بعيداً عن العيون الصغيرة ، والنفوس الحاقدة ، والطوايا الخبيثة ، وغرقا في بحور من الود والحب ، لا أول لها ولا آخر ..

يخيل إلى من يتطلع إلى هذا الثنائي أنهما يتناجيان ، ويتراشفان أحلى التناغي والزقزقات مغموسة بأبدع الضحكات المشرقات ..

ويتأكد من يستطيع استراق السمع إليهما أنهما في عالم آخر ..

تميل الفتاة نحو فتاها ، وهي ترشقه بسهام عينيها ، وتطيله بفرحتها ، تغمره بحبها وتقول :

ـ لم ألحظ شيئاً في هذا الشارع يثير شبهاتي ..

ويميل « المحب » نحو فتاته ، وهو يغمرها بصفائه ، وصدق وداده ، وحرارة مشاعره ، ويقول لها :

ـ سنعود مرة أخرى ، وسنعبر الآن الشارع الأول من على اليمين .

بمثل هذه الظواهر كانا يبدوان ، وبمثل هذه الأحاديث كانا يتناجيان ..

ومرّا في الشارع الأول من على يمينهما ، ووقعت عيونهما المتألقة على شاب وسيم يتبادل الحديث مع زميلين ، له أحدهما في سيارة صغيرة خاصة ، وثانيهما إلى جانبها .. وهم يضحكون ويمزحون .. وأدركا أنهم من جماعة عمها المفتش جميل .. وأعجبا بإتقان دورهم ونجاح تمثيلهم ، وتأكدا أن من المستحيل الشك بهم .

وبدلال ورقة انحنت ليلى نحو عصام وهمست :

ـ عصام ! أنظر إلى هناك .

ورفع عصام بكل براعة ومهارة نظره ، وهو يضحك ، ويسمع ضحكاتها ، وشاهد ما أشارت إليه ، وأثار انتباهها .. رأى رجلاً زريّ الهيئة ، طويل اللحية إلى حدّ ما ، يسير

www.alkottob.com

.. وكان في الشارع رجل يراقب البناء العالي

قرب السيارة الواقفة ، وأسرع شاب بالتقاطه ، ولحق بها ، وهو يهتف :

– يا آنسة ! سقط منديلك .

استدارت ليلى إليه باسمة ، وقالت كأنها تشكر له :

– في شارع « مجدي » رجل أمام المبنى رقم « ١١ » .

وهزّت رأسها باسمة ، واستدارت ، وتابعت سيرها ..

تلفتت ليلى حين وصلت إلى بداية الطريق الجديد ، فلم تجد السيارة في مكانها .. وهمست :

– عصام ! إنهم لم يضيعوا ثانية من وقتهم .

وتابعا تسكّعهما ، يجوبان الطرقات ، واحداً بعد واحد ، بهمة ونشاط ، لا يكلان ولا يملان .. وفي دورة من الدورات عادا مرة أخرى إلى شارعهما الأول ، فوجدا سيارة أخرى تقف مكان السيارة التي انطلقت ..

متسكعاً ، ثم جلس القرفصاء في ساحة خاوية معدة للبناء ، وأخرج من عبه لفافة فيها بعض الطعام ، وراح يأكل منها في بطء شديد ، وعيناه ترقبان المبنى العالي من الشارع المقابل لمكانه تماماً .

مرّ « العاشقان » أمام زريّ الهيئة ، وتوقف فينو أمامه ، وتشممه .. ثم غادره ليلحق بصاحبيه اللّذين ما توقفا لحظة عن الابتسام والنجوى .. وانتهى بهما الشارع ، فاستدارا رجوعاً ، وظلا في تمثيلهما .. وظلت عيونهما شبه عالقة بزريّ الهيئة الجالس القرفصاء يراقب ..

مالت ليلى ، والبسمة تفيض من كل قسماتها ، وناجت رفيقها :

– عصام ! عيناه متسمرتان في البناية المقابلة ، ولا سيما في طبقاتها العليا .

ومال عصام ، وهو يسيل فرحاً وحناناً .. وأجابها :

– علينا أن نبلّغ عنه ، وسوف نفعل ذلك عند لقاء أول سيارات عمنا .

ومرّا من جديد أمام زريّ الهيئة الذي لم يُعرهما أي انتباه واهتمام .. واستمر في تناول طعامه .. دون أن يطرف له جفن عن مراقبة أعلى البناية المقابلة .

وصل الصغيران إلى نهاية الشارع ، فأسقطت ليلى منديلها

الخيط الرفيع

أما « خالد » فكان وضعه صعباً إلى حدٍّ ما ، فوجود « سرور » إلى جانبه يلفت إليه الأنظار ، ويستثير الانتباه ، وأكثر من هذا وقوف « فصيح » على أحد كتفيه .. ومع هذا ظلّ يلفّ ويدور في دراجته النارية من شارع إلى شارع ، ومن حيّ إلى حيّ ، دون أن تطرف عينه ، أو يلهيه شيء عن المراقبة .. ومرّت ساعة وساعتان ، وهو على هذه الصورة ، دون أن يقع على جديد أو مثير ..

وعلى حين غرّة ، وبينما كان يهمّ بالانعطاف نحو أحد الشوارع ، وقع بصره على جماعة من الناس ، متجمعة على شكل حلقة ، حول شيء ما .. فعدّل طريقه ، وتوجّه نحو الجمع الغفير ..

كان الحشد مكوّناً من فتيان وفتيات صغار ، استخفهم الفرح ، وعلتْ ثغورهم البسمات المشرقة .. وتوقف عند وصوله إليهم ، وترجّل عن دراجته النارية ، وأمسك بخطام سرور ، واندسّ

www.alkottob.com

بين الواقفين ، فلم يُعِرْهُ أحدٌ اهتماماً ، لانشغالهم بمشاهدة قرد مرح ، لا يكفُّ عن الرقص، والقيام بحركات بهلوانية ، ويجلس القرفصاء أمامه رجل ، وهو ممسك بسلسلة طويلة دقيقة ، تنتهي بطوق جلدي حول عنق القرد المرح ، والطبلة بيده ، وعصاه إلى جواره .

كان القرّاد يتغنى بألحان شعبية بصوت أجَشّ ، وقرده يرقص ويتمايل حسبما يأمره صاحبه ، وأحياناً كان يهزُّ في وجهه العصا ، أو يضرب بها الأرض إذا أخطأ القرد ، أو عصى ..

وانتهى الشوط ، وأمسك القرد بالطبلة بإيعاز من الرجل ، ودار على المتفرجين يستجديهم .. فكان يلقي مَن شاء منهم بما شاء في الطبلة .

أما سرور فكان يرقب قرد الرجل بانتباه شديد ، ولقد حاول أكثر من مرة أن ينفلت من يد صاحبه ، ولكن خالداً لم يفلته ، بل زاد ضغطه على يده حتى وقف ساكناً .

ورمى خالد قرشاً في طبلة القرد ، دون أن تغمض عينه عن مراقبته ، كما كان يختلس النظر إلى وجه الرجل الذي كان غير مُبالٍ بما يجمعه القرد ، وغير مهتم ، إنما اهتمامه كان موجّهاً إلى الطريق المقابل له ، وكأنه ينتظر أحداً .

وانتهى الشوط الأول ، وانصرف بعض الفتية والفتيات ،

وبقي بعض آخر ، وانضمّ إليه فتية جُدُد ، وأخذ الرجل الطبلة من قرده ، وأفرغ ما اجتمع فيها في حضنه .. وظلّ خالد يتابع نظرات الرجل .. ولحظ ما كان القرّاد متلهفاً إلى رؤياه ، وكان رجلاً مماثلاً لهذا القرّاد ، قادماً من أقصى الشارع ، لكنه لا يصحب قرداً ، وإنما كلباً ومعزاة بيضاء .

واتجه القادم الجديد نحو الحلقة ، وأفسح له الصبية مكاناً لينضم إلى صاحبه ، ودارت بين الرجلين محاورة :

قال القادم الجديد :

- سأعرض ألعابي معك ، وسنتقاسم الرزق .

قال القراد :

- أرجو أن يكون رزقاً وفيراً .

قال القادم الجديد :

- نرجو أن يكون وفيراً ، وإن كان الوصول إليه شاقاً .

وبدأ القرد يعرض ألعابه ، بينما كان كلب الرجل ومعزاته ينتظران .. واستمر الحوار بين الرجلين :

- طريق الوصول إلى الرغيف عسير .. وعلينا أن نشقى للحصول عليه .

وكان رقص القرد مثيراً هذه المرة ، مسلّياً ، مضحكاً .. وانسلّ خالد من بين الجمع الحاشد ، وتغلّب على مقاومة سرور

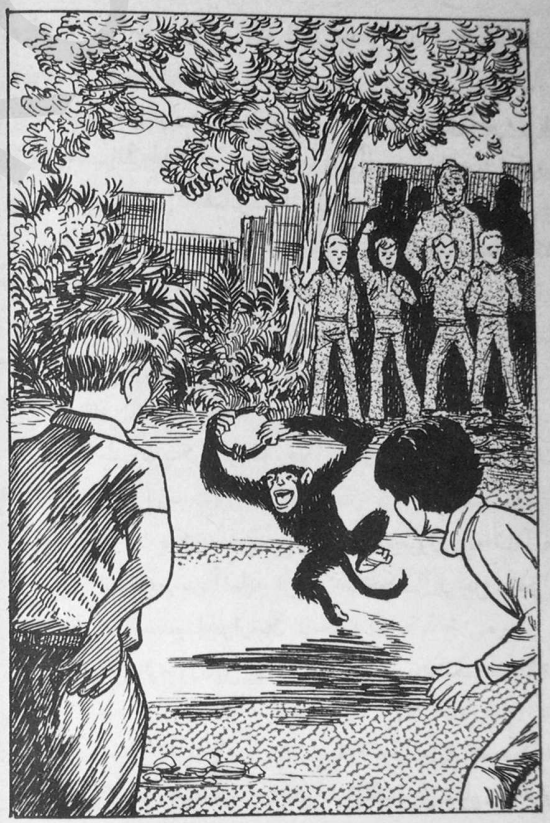

ورأى في الشارع قراداً يرقص قرداً ..

الذي رفض بادىء الأمر أن ينسحب .

وانطلق بدراجته النارية ، وتوقف عند سيارة بيضاء ، فيها فتى تلوح عليه علائم السرور .. وفتاة جميلة لَعُوب ، بدا أنها صديقة الفتى ، وكأنها غادرت السيارة ، واتجهت نحو شجرة باسقة ، وجلست في أفيائها ..

وأوقف دراجته قريباً من الفتاة ، ونزل عنها .. وسرعان ما ترك الفتى سيارته ، وأسرع نحو خالد وعليه سيماء الغضب ، وراحا يتجادلان ، ويشيران بأيديهما .. حتى ليخيّل إلى مَن يراهما أنهما يتخاصمان أو يهمّان باقتتال . لكن الحقيقة أنهما كانا يتحدثان بشيء آخر .

قال الفتى :

- أهلاً يا خالد ! هل من جديد ؟

قال خالد ، وهو يمسك بتلابيبه ، كأنه يدخل معه في عراك :

- في شارع الأندلس ، قرّاد ، وصاحب كلب ومعزاة .. أسرعْ قبل انصرافهما ..

وتعالى صوتهما ، مما لفت نظر أحد المارّة الذي تدخّل ليفرق بينهما ، وخالد يقول بغضب :

- إن الطريق للناس كافة .. وسأقف حيث أشاء .

وهتفت الفتاة التي تركت مكانها واندسّتْ في السيارة قائلة:

www.alkottob.com

– دَعْهُ يا سليمان.. دعه يا سليمان .. يبدو عليه مشاكساً.. تعـــال اركب ، سنترك له المكان ليتنزه فيه مع صاحبه الذي يبدو مهذباً أكثر منه .

وانصاع سليمان لهتاف فتاته ، وركب السيارة ، وانطلق بها مسرعاً .. فقال الرجل ناصحاً لخالد :

– يا ولدي ! إنك لا تزال يافعـاً .. اتّقِ شرّ المشاحنات قَدْرَ ما تستطيع .. أفهمت يا ولدي ؟

همس خالد غير مُصدّق :

– بابا ؟!

وربّت الرجل على كتف خالد ، واستمرّ يقول :

– يكفيك هذا . انضمّ إلى وليد في شارع الكتبيّ . هناك ما قد يُسفر عن شيء .

وصافحه خالد ، وظلّ الرجل في مكانه برهة ، ثم هزّ رأسه بأسف ، وقال بصوت سمعه أحد المارّة :

– جيل من الشياطين !..

« القطط » تخيف اللصوص !

سار وليد مهرولاً ، لا يلوي على شيء ، متنقلاً من شارع إلى آخر ، وفق المخطط المرسوم له ، وانقضت ساعة وساعتان دون أن يلفت نظره ما يستحق .. وفجأة وجـــد في شارع جمهوراً حاشداً ، فهرول نحوهم ، ووقع بصره على فتاة في وسط حلقتهم ، ترتدي ملابس الرجال ، وتكاد ملامحها تنم عن رجل في صورة امرأة ، وترقص أو تأتي بحركات بهلوانية .

كان صاحب الفتاة يرقصها على أنغام « بيانولا » ، وهي نوع من الآلات القديمة المنقرضة ، توضع فيـه اسطوانات ، تدار باليد ، وتبعث أنغاماً ما أدار اليدَ صاحبُها ، وتتوقف حين يتوقف ..

وليد بقوامه الفارع ما كان بحاجة أن يزاحم أحداً ليرى ما يدور في وسط الحلقـــة ، فطوله السمهريّ يُعينه على أن يرى ويسمع أنّى وقف .

وانتهت الفتاة من رقصتها الرديئة .. وجاء دور صاحبها في

البهلوانيات ، فأعدّ طوقاً واسعاً ، حواليه فتائل قطنية مغمورة بمادة سريعة الاستعمال ، وما هي إلا هنيهة حتى أشعلت الفتاة الفتائل ، والتهبت النيران حول الطوق كله .. وتحدث الفتى بكلام هذر طويل عن بطولاته وألعابه الخطرة ، وحين أتم قول ما أراد قوله .. ابتعد عن الطوق قليلاً ، ثم هجم هجمة سريعة ، واخترق الطوق ونيرانه .

وصفق السذج من المتفرجين ، وبخاصة الأطفال ، وكاد وليد ينصرف لولا حديث هامس بلغ أذنيه ، فاستوقفه وأصاخ السمع وأرهفه .

قال أحد الواقفين لصاحبه :

– كل شيء على ما يرام .. هيء لنا « أنيسة » و « مرجان » .

سأله صاحبه :

– وأنت ؟ ألن تشترك الليلة ؟

قال صديقه وهو يتلفت حواليه :

– كيف لا أشترك ؟. لسوف أكون في جوارك ومعي « بُسْبُسَة » و « قطقوطة » .. إنها أوامر « المعلم » .

وتفرق الرجلان .

لحق وليد بالذي انصرف ، متظاهراً بالرياضة ، والهرولة ، وظل يتبعه .. ثم أبصر سيارة متوقفة من بعيد ، وصاحبها عاكف

على إصلاح خلل فيها .. وحينئذٍ سبق وليد الرجل ، وتقدم من صاحب السيارة ، متظاهراً بعرض مساعدته .. ودارت بينهما المحاورة التالية . قال وليد :

– هل تريد مساعدة ، أيها الأخ ؟

تفحصه صاحب السيارة ، وأجابه :

– شكراً ، لقد انتهيت .

همس وليد في أذنه :

– هذا الرجل .. انتبه إليه . وهناك آخر سأعود إليه .

وتابع وليد رياضته ، وهرولته ، وحركاته الرشيقة ، حتى وصل إلى لاعب النار ، والجمهور الحاشد ..

وبنظرة خاطفة لمح الرجل الأول وقـــد وقف مع صديق جديد يرتدي ملابس بلدية فضفاضة .. فتقدم متظاهراً بإعجابه بالرقص والألعاب .. ورفع صوته مخاطباً أحد الواقفين :

– شرفاً ! إنها لعبة مدهشة .. أليس كذلك ؟

وأرهف السمع لما يدور بين الرجلين ، كأنه يريد أن يسمع كل نأمة وحركة وكلمة تدور بينهما .. وسمع الحوار بينهما :

قال الرجل :

– مرحباً ! أين كنت طوال هذه المدة؟ إني لم أرك في المقهى منذ أمد طويل ؟

www.alkottob.com

أجاب الصديق :

ـ كنت في زيارة لابنتي في «قليوب». أخبرني كيف الشغل؟

قال الرجل :

ـ في أحسن حال .. كل شيء يسير على ما يرام .

سأل الصديق :

ـ والقطط ؟ ألا تزال تخمش ؟

ضحك الرجل وقال :

ـ تخمش مَنْ ؟ الرئيس قلّم أظفارها .. إنك تراها في كل مكان تائهة، لا تعرف كيف تصطاد عصفوراً.. وكيف تصطاد ولم يَعُدْ لها أظفار أو مخالب.. عشتَ يا رئيس .. يا أحسن من قلّم أظافر القطط .. وأطلق ضحكة مقهقهة ، وانفرجت شفتاه عن أسنان سود ، تآكل معظمها . وتابع يقول لصاحبه .

ـ بلغ تحياتي للرئيس .. وأخبره أني سأحضر لزيارته الليلة في الساعة الرابعة عشرة .

وانصرف الصديق وأيقن وليد أن واجبه يقضي عليه أن يلحق بالرجل، وخشي أن يختفي إن لم يلحقه ، ويعرف عنوانه. وظل الرجل الأول بين الجمهور يدخن ، ويتطلع إلى الألعاب بعيون محمرّة .

وفعل وليد بالذي انصرف ما فعله بالسابق.. هرول وراءه،

وقام بحركات رياضية ، وودّ لو يرى السيارة وأحد رجالها ليكيلَ إليه مهمة ملاحقته ، ويعود إلى الرجل الأول في الحلقة، وخاب ظنه ، فلم يجد السيارة .. وأسقِط في يده .. وفكر فيما يفعل ، وبدا له أن خير ما يصنع عرقلة الرجل ، واعتراض طريقه ، والاشتباك معه على أية صورة .. فلعل سيارة تَقدُم ، فيكيلُ إليها باقي المهمة ..

الرجل يسرع الخطى، ينتقل من شارع إلى شارع، والسيارات « الصديقة » كأنها اختفت .. والوقت يمرّ .. والرجل يقترب من مواطن الخطر ..

وتراءى له أن يفعل شيئاً ، فسبق الرجل ، وانحنى متظاهراً بربط حذائه الذي انحلت عقدة رباطه ، وانتظر حتى صار الرجل بجواره تماماً، فنهض بغتة، وصدمه برأسه صدمة قاسية.. وثار الرجل للصدمة ، وسب الرياضي قائلاً :

ـ أعمى أنت يا ولد ؟ ألا تنظر ما حولك ؟

لم يجبه وليد، وإنما لكمه في صدره لكمة قوية زلزلته ، وقال:

ـ من تعني بالأعمى أيها الوقح ؟ أغرُبْ عن وجهي وإلا مرّغتك في التراب !

لم يكن خصم وليد بالرجل الضعيف ، ولكنه كان قوياً مفتول العضلات . فقال بتحدٍ :

ـ أأنت تمرغني في التراب ؟ والله إن لم تغرب عن وجهي لأؤدبنك الأدب الذي يربيك إلى الأبد .

نسي وليد وصية عمه المفتش جميل وتحذيره من أن يشتبك بقتال ، ورفع يده عالياً ، ونزل بها كالمطرقة على وجه الرجل ، أطارت الشرر من عينيه ، وكادت تطيحه أرضاً . واستعاد الرجل توازنه وهجم على وليد يَهُمّ بضربه ، فقذفه وليد بلكمة جديدة أشد من الأولى وأقوى ..

وتضارب الخصمان .. وتجمع الناس حولهما بسرعة البرق ، ولحظ وليد خوف أحد المشاهدين وابتعاده عنهما بسرعة ، ولم يخطر في باله أبداً أن الهارب كان المفتش جميل نفسه ، أسرع يستدعي ابنه « خالد » لمساعدة وليد .

واشتدت المعركة بين الرجل ووليد، وحمي الوطيس، ونجح وليد بضرب خصمه ضربات فولاذية متوالية ، يخر أمامها أقوى الرجال .. وهاله أن خصمه صامد لا يهرب ، ولا يخرّ ، ولا يتراجع ، ويكيل لوليد الصاع صاعين .. وأن لكماته تزداد قوة مع مرور الوقت .. وشعر وليد أن قواه بدأت تتراخى، وقوى خصمه تزداد عنفاً واشتداداً ..

كان شبح الهزيمة يلوح في عيني وليد، واعتقد أنه سيهوي بين لحظة وأخرى أرضاً مغمىً عليه.. وفجأة قفز حيوان على كتفي

خصمه، فملأه رعباً ، وانتهز وليد الفرصة وكال له ضربة رنحته، ثم جعلته يهوي كالثور .

هلل المشاهدون للمنتصر ، وصاح « خالد » :

ـ أسرع يا وليد !. علينا الانصراف من هنا فوراً .

وانسحب خالد ووليد ، وانعطفا إلى شارع جانبي ، حيث كان « خالد » وضع دراجته النارية ، فركباها ، وانطلقا برقاً نحو منزلهما .

www.alkottob.com

معلومات كاملة

وصلت الدراجة النارية الأولى المنزل وعليها ليلى وعصام ، وقد قاربت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، واستقبلتهما ماما سعاد مرحبة ، متلهفة لأخبارهما فسألتهما :

ـ ما وراءكما يا أولاد ؟

أجابتها ليلى ، والبشر يطفح من وجهها :

ـ هائلة أخبارُنا يا ماما سعاد !

سألتها ماما سعاد :

ـ عجلي ، وأخبريني كل شيء تفصيلاً .. ولكن ! ألم تلقيا خالداً ووليد ؟

أجابت ليلى :

ـ لا ! يا ماما سعاد.. ولكن العجيب أن عمي المفتش جميل هناك ، في كل مكان نراه ، لا يكاد يغيب لحظة ، موجود في كل زاوية ، وشارع ...

ووصلت الدراجة النارية الثانية ، وعليها خالد ووليد ، وهب الجميع لاستقبالهما . وصاحت « ماما سعاد » :

ـ ترى ما الذي جمعهما ؟

وهرول « فينو » نحو المدخل ، نابحاً نُباحَ فرح واستبشار.. وأسرع سرور وركض نحو «ماما سعاد» رافعاً يده مسلّماً، هازاً رأسه مشيراً إلى فرحه ، وانتصاره .. ومغامرته .. ودخل خالد المنزل متقدماً على وليد ، يبتسم ويحيي .. ولحقه وليد متباطئاً ، مكفهر الوجه ، أزرق الجبهة ، تلوح عليه سيماء الجهد والإنهاك ..

سألته ماما سعاد بصوت خائف :

ـ ما حلّ بك يا وليد ؟ لِمَ أنت ممزق الثياب ؟ أتشاجرت مع أحد ؟ خبرني .. أرجوك .

افترت أسنان وليد عن بسمة باهتة ، وأجاب :

ـ نعم ماما سعاد، تعاركت مع ثور يلبس ملابس أهل البلد.

ضحك الجميع لمنظره وجوابه .. وأكمل خالد بدلاً منه الجواب فقال :

ـ الشكر لسرور والفضل له ، ولولاه لهلك وليد ..

قالت ماما سعاد متلهفة :

ـ لا .. لا تمزحوا يا أولاد ! خبروني الحقيقة .. ماذا رأيتم؟

ماذا حلّ بكم ؟..

قال خالد :

ـ سمعاً وطاعة يا أماه ! لتتفضل ليلى وتخبرنا ما جرى لها ولعصام .

أجابت ليلى ضاحكة :

ـ كانت أجل مهمة قمت بها .

وأخذت تقص ما رأت ، وسمعت بالتفصيل .. وكانت ماما سعاد أشدّ إنصاتاً لها من بقية المجموعة .. كما كانت تسألها أحياناً تفصيل نقطة لم تستوعبها .. وعصام يساعد أخته من حين إلى آخر ، يشرح ، ويسهب .. إلى أن انتهيا من سرد كل معلوماتهما. وحينئذٍ جاء دور خالد ، فقص على أمه وليلى وعصام ما جرى وما لقي ، وحدثهم كيف التقى بأبيه ، وكيف أرسله على جناح السرعة ليساعد وليد الذي يوشك أن يقع في ورطة ..

وتدخل وليد وقال :

ـ لو لم أشعر بقسوة الجوع لقضيت على خصمي بالضربة القاضية في الجولة الأولى .. ولكن الجوع هو الذي منعني ..

ضحكت ماما سعاد وسألت :

ـ ألم يخبركم العم جميل إن كان سيحضر لتناول الغداء ؟

أجابها خالد :

ـ لم يخبرني يا ماما ، وكل ما قال لي أن أذهب لمساعدة وليد وأسرعَ ، فهو في ورطة ..

ونهضت ماما سعاد، لِتُعِدّ لهم الطعام ، ونبح فينو مُعلِماً بوصول المفتش جميل .

وصاح خالد :

ـ لقد وصل بابا .

وهرع الجميع إلى الشرفة يستقبلون المفتش جميل ، ورأوه ينزل من سيارته ، وبصحبته النقيب فؤاد .. ودخلا المنزل معاً.

ورفع جميل عينيه إلى الشرفة ، فلم يتمالك نفسه إلا أن هتف بهم ، وهو يعبر الممرّ إلى مدخل المنزل :

ـ رائعين كنتم جميعاً هذا الصباح .

ودخل الردهة مع النقيب فؤاد ، والتف الجميع حولهما ، وراح يكرر كلمات الثناء ، والإعجاب بهم ، ويشاركه فؤاد في إظهار إعجابه ، وثنائه ..

التفت النقيب فؤاد إلى المفتش جميل وقال :

ـ لقد وضعوا يدنا على أكثر من دليل ، وأكثر من أثر .. ولو قبضنا على العصابة التي دوّختنا وحيّرتنا ، فإن الفضل ، كل الفضل ، يعود إلى إتقان الشباب عملهم ، وإلى أداء ما طُلِب منهم ببراعة وذكاء نادرَيْن .

www.alkottob.com

ونادت «ماما سعاد» الجميع إلى الغداء ، فهُرِعوا نحو المائدة العامرة الشهية ، دون أن يتوقفوا عن الحديث عن أدوارهم وأعمالهم .. وقال المفتش جميل :

– لنَقُلْ بصراحة : إن ما سمعه وليد ، وما حفظه ونقله ، ودلّنا على أصحابه لَيُعَدُّ أكبرَ نصرٍ لنا ، والمفتاحَ الذي فتحنا به مغاليق هذا الطلسم المحيّر .

وانتشى وليد لهذه الشهادة، وهزّ رأسه موافقاً ، ورفع يديه بعد أن عقدهما ، وهزّهما ، فِعْلَ بطلٍ منتصر في حلبة مصارعة أو مبارزة .

وتابع المفتش جميل حديثه فقال :

– تصوّروا أن معنى هذا الحديث الذي نقله إلينا وليد بدقة هو المسمار الأخير في نعش هذه العصابة .

واستبدّ الفضول بالجميع ، واشرأبّت أعناقهم ليسمعوا هذا الذي نقله وليد، وكان له هذا الأثر الذي يشيد به المفتش والنقيب.

وأدرك المفتش ما يدور في عيونهم من تساؤل ، فقال :

– سنراجع معاً الحديث الذي نقله لنا وليد من بدايته .. فقد سمع الرجل الأول ، ودلّ رجالنا الذين كانوا في السيارة عليه ، وقمنا بتتبُّعه ، وعرفنا المكان الذي توجّه إليه .

وأما الأسماء التي ذكرها فهي أسماء القرود المدرّبة التي سوف

تُستَخدَم هذه الليلة في السرقة .

ومن حديث وليد الذي نقله على لسان الرجلين ، فهمنا أنهما سيسطوان على بنايتين متجاورتين .

وأما حديث الرجل الثاني – وهو الأهم – فقد حدّد لنا الطابق الذي سيسطو عليه ، وهو الطابق الرابع عشر ، وقد عبّر عنه بالساعة الرابعة عشرة .

وتابع المفتش جميل حديثه قائلاً :

– لقد وصفوا رجال الشرطة بالقطط التي قلّمت أظفارها، وسيعلمون أن للشرطة قدرةً على سحقهم ، وأن أظفارهم لا تزال تخمش ، وتمزّق .. أجل ، سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.. والآن ! حان وقت العمل.. فإلى اللقاء يا أولادي..

وغادر المفتش جميل والنقيب فؤاد المنزل مسرعين .

* * *

الخطة

دخل المفتش جميل مكتبه متهلل الأسارير ، واجتمع حوله رجالُه ، فحيّاهم ، وسألهم :

– والآن ! ما عندكم من تقارير ؟

وبدأ الضباط يتلون عليه ، واحداً بعد واحد ، خلاصة ما وصلوا إليه من معلومات ونتائج، واتفقوا جميعاً على أن « مقهى العروس بحيّ بولاق» هو المقرّ الثابت الدائم للرجال الذين طاردوهم ..

قال المفتش بهدوء :

– سأكشف لكم أمراً . بالأمس خطر لي خاطر ، لم أشأ الإفصاح عنه آنئذٍ، وأردت أن أتأكد من صحته هذا الصباح ، وقد فعلت ..

وسكت لحظة ، وأخذ كأس ماء كان على منضدته ، وجرع منه جرعة ، وتابع قوله :

– لَفَتَ نظري ظاهرةٌ غريبة ، حيّرتني ، وأدهشتني .. فالسرقات كلها تجري في الطوابق العليا من المباني، وسبب ذلك أن أصحابها لا يحتاطون حيطة سكان الطوابق الدنيا ، متوهمين أن اللصوص لا يبلغونها ، وأنهم يسطون على الطوابق المنخفضة، ويتحاشون المرتفعة.. لذلك فسكانها يتساهلون فيتركون نافذة مفتوحة ، أو سواها ..

والأمر الثاني المحيّر ، أن تقاريركم جميعاً تتفق على أن نافذة الحمام ، وهي صغيرة إلى حدّ لا تسمح لطفل بالمرور عبرها ، كانت طريق السارق ، ومن خلالها تمّت السرقة .. دخل السارق وخرج ..

الأمر الثالث المحيّر ، هو تكرار إغفال اللص لأشياء ثمينة ، كانت في متناول يده ، واكتفاؤه بسرقة ما وجده أمامه .. كيف يترك اللص المحترف حافظة نقود فيها مبلغ ضخم كبير ، ويكتفي بسرقة ما كان إلى جوارها ؟..

هذه الأمور لفتت نظري ، ودعتني إلى الاعتقاد أن اللص السارق ليس معروفاً عندنا .

كان جميع الضباط يُصيخون دَهِشين متعجبين من كلام رئيسهم .. ولقد أثار عَجَبَهم واستغرابَهم حديثُ المفتش ، ولا سيما حين قال :

www.alkottob.com

– وبعـــد ، فإن مؤدّى تحرياتنا يجعلني أجزم أن السارق الذي حيّرنا ، والذي نبحث عنه ، ليس إنساناً .

وسكت المفتش لحظة ، تركهم فيها جاحظي الأعين من شدة المفاجأة ، وأردف يقول بهدوء :

– أيها السادة ! العصابة السارقة من القرود ، يحركها إنسان داهية ، صَبرَ طويلاً حتى درّبها ، وأطلقها تعمل ، وهو آمن مطمئن .

سأله الرائد صلاح :

– إن هذا يفسّر عدم عثورنا على بصمات من المنافذ ، رغم وجود آثار واضحة تدلّ على دخول السارق .

ضحك المفتش وقال :

– ألم أقل لكم بالأمس : لا جدوى من عثورنا على بصمات ، لأن أصحابهـــا غير مسجلين في أي ملف رسمي من أي نوع .. وستجدون أن هذا الداهية لم يترك حتى لهذا الاحتمال البعيد أن يكشف أمره لنا ، فزوّد قروده بقفازات كيلا تترك وراءها أثراً يدلّ عليها .

وسكت المفتش لحظة ، ثم قال :

– والآن ! استعدّوا للقبض على العصابة هذا المساء ، وإليكم خطة العمل .

واستغرقت مناقشة الخطة التي وضعها بين أيدي ضباطه وقتاً طويلاً ، إلى أن ألمّ بهـا كلٌّ منهم ، وعرف واجبه بدقة ، وكان الألم يعتصرهم .. لأن غريمهم قرد .. لعب بهم زمناً طويلاً .. وأن مدرب هذا القرد ، أو القرود ، سخر من رجال الشرطة ووصفهم بالقطط البائسة المقلمة الأظافر والمخالب .

والتفت المفتش جميل نحو فؤاد سائلاً :

– هل اتصلت بصاحب المسكن ؟

أجاب فؤاد :

– نعم يا سيدي ! فالطابق الرابع عشر فيه ست شقق : اثنتان تطلان على الجانب الذي فيه أنابيب المياه « المواسير » وقد طلبت إلى أصحابها الحضور إلى هنا بتكتم شديد في الساعة الثامنة من هذا المساء .

وابتسم المفتش ، وقال :

– لقد حلّت لنا القهوة الآن ، فلنتناول قدحاً منها ، فأمامنا عمل هام ، وسهر طويل هذه الليلة .

* * *

في تمـام الساعة الثامنة حضر ساكن الشقة الأولى ، وكان صيدلياً ذائع الصيت .. دخل غرفـــة المفتش ، والرعب آخذ بمجامع لُبّه لهذا الاستدعاء المفاجىء .

ورحّب به المفتش ، وأطلعه على سبب استدعائه ، وأخبره أن بعض رجال الشرطة سيكونون في ضيافته هـذه الليلة ، إذا لم يكن عنده مانع .

قال الصيدلي متحمساً :

– مانع ؟ وأي مانع يا سيدي المفتش ؟ بل هل يحلم مواطن بجد رجال شرطة وطنه في هذا المستوى من الوعي واليقظة ، ثم لا يفرح بهم الفرَحَ الغامر ؟..

شكره المفتش بلطف ، واتفق وإياه على الخطة التي يتسلل بها رجال الشرطة إلى منزله ، لئلا يعرفهم أحد .

ثم انصرف الصيدلي والفرحة تملأه ، بعـــد أن ترك للمفتش مفتاح شقته .

وما كاد يغادر باب غرفة المفتش ، حتى قال هذا :

– فؤاد ! إليك هذا المفتاح .. أريد ستة مفاتيح منه فوراً .. وأعْطِ مفتاحاً لكل من أصحاب هذه الأسماء .. وناوله ورقة صغيرة فيها الأسماء .

وتابع قوله :

– وستكون أنت بنفسك معهم .. أما هؤلاء :

وناوله ورقة أخرى ، وقال :

– فسيكونون معي . أسرع ، واجمع لي القوى التي طلبتها منك .

وطرق البابَ ساكنُ الشقة الثانية مستأذناً بالدخول .

ودخـــل « رياض المفتي » الأديب الثريّ اللامع المشهور ، وألقى التحية ..

واستقبله المفتش هـاشاً باشاً ، ورحّب به ، وشرح له سبب استدعائه المفاجىء .. ونهض رياض مودعاً والفرحة تملؤه ، وقد ترك للمفتش جميل مفتاح شقته ، وقبل أن يغادر المكتب قال :

– سأجد في مغامرة الليلة مادة رائعة لقصة جديدة ، سوف أسميها « عصابة القرود » .

ضحك المفتش ، وهو يسير معه نحو الباب ، وقال :

– لو كنت مكانك لاخترت للقصة عنواناً آخر .

توقف السيد رياض لحظة عن المسير ، وسأله :

– وماذا تقترح أن تسميها ؟

قال المفتش جميل .

– أسميها « العصابة الخفيّة » .

هتف رياض بفرح :

– رائع !! عنوان أكثر إثارة .. ليكن .. أعِدُكَ صادقاً أن أسميها « العصابة الخفية » .

وتذكّر رياض شيئاً .. فقال :

– سيدي المفتش ! أخبر جميع ضيوفي الليلة أن ما يرغبونه

www.alkottob.com

متوافر في الثلاجة، وإن شاؤوا شيئاً آخر فسيجدونه في المطبخ

شكره المفتش ، وأغلق وراءه الباب ، ودسّ مفتاح الشقة في جيبه .. وقرع الجرس .. واستدعى النقيب فؤاد .

دخل فؤاد .. فقال له المفتش جميل :

– يا فؤاد ! إليك مفتاحَ الشقة الثانية .. وانتبه . في الساعة العاشرة سنبدأ بالتحرك .. أسرع .. وائتني بالمفاتيح ، واستدعِ الزملاء ، وموعدنا هنا جميعاً بعد نصف ساعة .

ودخل الضباط في الموعد المحدد، ووزّع المفتش عليهم المفاتيح وخطط العمل .. وقال لهم وهو يودّعهم :

– يكون الدخول غير ملفت للأنظار .. وستكون البناية المجاورة محاطة بنطاق قويّ من رجالنا .. والله يوفقكم ويسدّد خطواتكم .

* * *

ظلّ المفتش جميل ومساعده فؤاد في المكتب بعد انصراف كلٍّ إلى عمله وواجبه .. وفتح المفتش دُرْج مكتبه ، وأخرج منه أنبوبة صغيرة أعطاها إلى فؤاد وقال :

– إنه سائل مخدّر مضغوط ، وتكفي عدةُ دفعات منه لتخدير القرد .

وأخرج أنبوبة ثانية مماثلة ، ودسّها في جيبه ، وقال :

– هَلُمّ بنا .. ولْنسرعْ إلى ما ينتظرنا .

وركب الرجلان معاً السيارة الرسمية ، وانطلقا في اتجاه منزل المفتش جميل – كما هي عادته في كل ليلة – تمويهاً وتضليلاً للعيون المراقِبة – إذا كان ثمّةَ عيونٌ تراقب – .

كان ذلك احتياطاً بسيطاً ، ولكنه كان سرّ نجاح العملية، ولولاه لأخفقت الخطة من أولها إلى آخرها.. لقد كان في الجانب المواجه لمبنى مديرية الأمن رجلٌ عادي المظهر، قابع في الظلام، يرقب خروجَ المفتش، والطريقَ الذي سوف يسلكه لدى خروجه من المديرية .. وأبصر السيارةَ الرسمية تشقُّ طريقها المعتاد ككل مساء نحو منزل المفتش، وحينئذٍ تنفّس الصعداء، وانطلق يهوي نحو سيارة وقفت غير بعيد ، وفيها سائق أسمر اللون .. فركبها الرجل وهو يقول :

– عاد إلى منزله ككل ليلة .. بَلِّغِ الرجالَ أن ينفذوا ما اتفقنا عليه .

العصابة تقع في الفخ

تجمعت « القوة » في المسكنين المتجاورين .. وساد صمت رهيب .. وأشار المفتش إلى أحد رجاله بإطفاء الأنوار بعد أن وصل الاستاذ رياض إلى منزله ..

وكان طبيعياً أن يراقب كل من الصيدلي والاستاذ رياض ما يجري في مسكنيهما ..

إن إطفاء الأنوار معناه أن أصحاب المسكنين آووا إلى فرشهم واستسلموا لسلطان الكرى ..

وأنه آن الأوان لينطلق اللصوص في عملهم .. فقد خلا لهم الجو ..

* * *

وحبست « القوة » أنفاسها .. ومر وقت طويل .. دون أن يبدو في الجو جديد ..

وفجأة .. تناهى إلى أسماعهم حسيس خافت .. مصدره

نافذة الحمام .. ثم ظهر القرد .. وتسلل بحذر شديد نحو الردهة، وراح يجوس الغرف التي تركت مفتوحة الأبواب، ودخل حجرة النوم وجمع بسرعة ومهارة كل ما عثر عليه.. وتسلل أحد أفراد الشرطة إلى الحمام فأغلق النافذة ، وأمر المفتش أحد رجاله بإضاءة مصباح يدويّ، فظهر القرد حاملاً كيساً في عنقه، وضع فيه كل ما التقطه من معادن براقة ، وحافظة الاستاذ الفارغة .

وأخرج المفتش جميل الأنبوبة من جيبه ، وتقدم من القرد الذي أخذ يتراجع ، وهو مكشر عن أنيابه ، توقف المفتش بعد أن حصره في ركن الحجرة ، ثم أطلق عليه دفقات متوالية من أنبوبة الغاز المخدّر.. وحاول القرد الهرب، ولاحقه المفتش وهو ينفخ في وجهه الغاز المخدّر .. فترنح الحيوان .. وسقط أرضاً .

قال المفتش ، وهو ينظر إليه :

– هذا ما توقعت .

كان القرد يرتدي قفازين من القماش يغطيان يديه ورجليه ، وقد رُبطا إلى جذعه كيلا ينفلتا .

التفت المفتش جميل نحو أحد رجاله وقال له :

– أوْثقه جيداً .. وضع على فمه كمامة .. وأرسله إلى حديقة الحيوان .

ونظر المفتش في ساعته ، وخرج إلى الشرفة ، وتطلع إلى

www.alkottob.com

أسفل وشاهد سيارات الشرطة تتجمع وتتحرك ، فأدرك أن القرد الآخر قد وقع في الكمين . فقال لرجاله :

– هيا بنا الآن إلى وكر اللصوص ، فرئيس العصابة هدفنا.

وشكر الاستاذ رياض المفتش ورجاله هذا النجاح الرائع ، والتفت إلى المفتش قائلا :

– « العصابة الخفية » لا تنس الاسم يا سيادة المفتش .. إنها هديتي إلى رجال الشرطة الأبطال .

* * *

أما فؤاد – في الشقة الثانية – فقد أمسك بالقرد الثاني ، في الوقت الذي ضاقت فيه الحلقة المضروبة حول البنايات كلها ، وتمكنت من القبض على رجلين آخرين معهما قردان آخران .. وحملت الرجلين والقردين سيارة ذهبت بهم إلى مديرية الأمن.. بينما انطلقت قوة كبيرة مكونة من ست سيارات مملوءة بالرجال واخترقت الشوارع بسرعة كبيرة ، متجهة نحو حي « بولاق » .

وترجل الرجال ، وتوزعوا إلى أربعة أقسام ، حددت لهم « ساعة الصفر » ليتحركوا نحو هدفهم في لحظة واحدة .

* * *

في الساعة الثالثة تماماً ، انطلقت الأقسام الأربعة نحو هدف واحد .. وأطبقت على مسكن الزعيم ، الذي كان جالساً بين

كبار الأشقياء يجرعون الخمرة ، ويلعبون الميسر .

وكانت مفاجأة غير منتظرة .. ورفعوا أيديهم مستسلمين ، وفتشت الشرطة دار الزعيم .. وعثروا على حجرة فيها خمسة عشر قرداً في أقفاص .

وضحك المفتش جميل حين قرأ الأسماء المكتوبة على الأقفاص « فالح » ، « كايدهم » ، « البرق » ...

والتفت إلى زعيم العصابة وقال :

– كم كنت أتمنى لو استغللت مقدرتك على ترويض القرود وتدريبها في ترويض نفسك وتدريبها على الخير ونفع الوطن .. السجن لم يغيّرك..لقد ظننت أنك هزمت رجال الأمن بأسلوبك هذا ، ولكن هيهات .. تأكد أن النصر دائماً للقانون والفضيلة .

وعاد المفتش إلى تفتيش المسكن .. وعثر على كميات كبيرة من المسروقات ، أُعيدت إلى أصحابها فيما بعد .

وطلب المفتش جميل من رؤسائه الحصول على قرد صغير وُجد مع أمه في قفص واحد ، بعد أن قرر الرؤساء وهيئة المحكمة إعدام القرود جميعاً لخطورتها على الأمن وفسادها .

وقُبل طلب المفتش .

وحمل القرد الصغير إلى منزله ، لينضم إلى فرقة المغامرين الأذكياء .

وحين سئلت « ماما سعاد » أي اسم تختاره لهذا العضو

الجديد .. أجابت :

– لِيُسمّهَ جميل .

ضحك المفتش جميل وقال :

– أقترح له اسم « مشمش » لأنه لم يبال بشيء حين انتزعناه إلا بحبة « مشمش » كانت في قفصه .

وهكذا كان .

بائعة الورد

« بائعة الورد » هو عنوان القصة القادمة ، وفيها تدهس سيارة بائع الجرائد الذي اعتاد « المفتش جميل » أن يشتري منه جريدته الصباحية ...

وكل من سمع بالحادث ترحّم على «العم حسن» بائع الجرائد، واعتقد الحادث عادياً ، إلا « خالد » ، فإنه انطلق مع فرقته يبحث عن سرّ مقتل « العم حسن » ...

وتطابقت شكوك خالد مع ظنون الشرطة ، فالتقوا عند بائعة الورد . فما دور « بائعة الورد » بمقتل « بائع الجرائد » ؟.. هذا ما نعدكم به في القصة الشائقة التالية .

www.alkottob.com

www.alkottob.com